

GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER
تولين
والبيت الجديد
RABIE
casterman

GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

تولين

والبيت الجديد

جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل





casterman

في المساءِ ، لمّا كانَتِ الأسرةُ مُجتَمِعَةً ، قالَتِ الأمُّ لوَلَدَيها تولينَ وجادٍ : يَتَعَيَّنُ علينا أن نُبَدِّلَ مَسكَنَنا .

– لماذا نُبَدِّلُهُ يا أُمّاهُ ؟

– لأنَّ مالِكَهُ يرغَبُ في بَيعِهِ .

تساءَلَتْ تولينُ والحُزنُ مُرْتَسِمٌ على وَجهِها : أينَ سنسكُنُ يا أبي ؟ رَدَّ عليها والِدُها وهو يُطالِعُ الصَّحيفَةَ :

– لقد قرأتُ تَوّاً هذا الإعلانَ : شِقَّةٌ فاخِرَةٌ للإيجارِ ، تناسِبُ أُسرةً مِنْ أربَعَةِ أفرادٍ .

قالَتْ تولينُ وفي صَوتِها تَحَسُّرٌ : هذا يعني أنّنا لن نلعَبَ بعدَ اليومِ مع إيادٍ في الحديقَةِ ، ولن نُعَمِّرَ كوخاً ، أو نَتَسَلَّقَ شَجَرَةَ الكَرَزِ . قالَ لها أبوها : أنا وأُمُّكِ لم نَدَّخِرْ وُسْعاً في التَّفتيشِ عَنْ مَسْكَنٍ في الجِوارِ ، بيدَ أنّنا لم نَظفَرْ بما نريدُ ، لذلِكَ لا بَديلَ عَنِ الإقامَةِ في المَدينَةِ ، حيثُ سأكونُ أكثَرَ قُرباً مِنْ مَكانِ عملي . وأضافَتْ أُمُّها :

– سوفَ يسهُلُ عليكُما أيضاً الذَّهابُ إلى المَدرَسَةِ .

جَلَسَتْ تولينُ على الدَّرَجِ ، وقد أسنَدَتْ رأسَها إلى راحَتَيها ، وجَعَلَتْ تُحَدِّثُ نفسَها ، فيما استَبَدَّ بها القَلَقُ على مَصيرِ كَلْبِها وهِرِّها : لَئِنْ حَظَرَ البَوّابُ إيواءَ الحَيَواناتِ ، لَحُتِّمَ علينا الفِراقُ .



قالَ لها طبّوشٌ : أعِدُكِ بأن أكونَ مُنضَبِطاً ، فلَنْ أتراكَضَ على الأدراجِ ، ولن أنبَحَ أبداً في اللّيلِ . وأضافَ أبو الشَّوارِبِ بدَورِهِ : وأمَّا أنا ، فسوفَ أتصاغَرُ لإخفاءِ نفسي ...

أعَدَّتْ والِدَةُ تولينَ المائِدَةَ ، وقالَتْ : لقد حانَ وَقتُ العَشاءِ ، إلى الطَّعامِ يا وَلَدَيَّ . لكنَّ تولينَ ما بَرِحَتْ واجِمَةً ، شارِدَةَ الذِّهنِ : انتِقالُنا إلى مَنــزِلٍ جديدٍ يعني أن نُغادِرَ حَيَّنا الَّذي أَلِفناهُ ، وأن نَهجُرَ الجيرانَ وأصدِقاءَ المَدرَسَةِ . قَطَعَ عليها أبوها سِلْسِلَةَ هواجِسِها حينَ قالَ لها : ما بالُكِ لا تأكُلينَ يا بُنَيَّتي ، فهلْ أنتِ مَريضَةٌ ؟



ثمَّ أضافَ : أرى أنَّهُ لا داعيَ إلى القَلَقِ . اطمئنِّي بالاً يا بُنَيَّتي ، فسوفَ نحتفِظُ بطبّوشٍ وأبي الشَّوارِبِ . وأمَّا بالنِّسبَةِ للأصدقاءِ ، فستُصادِقينَ أطفالاً جُدُداً . غداً ، سنذهَبُ جميعاً لمُعايَنَةِ الشِّقَّةِ .



حَضَرَ مالِكُ الشِّقَّةِ الجديدةِ في المَوعِدِ المُحَدَّدِ . وفيما انشَغَلَ والدا تولينَ بالتَّحادُثِ مَعَهُ ، خَرَجَ الشَّقيقانِ ومَعَهُما طبّوشٌ إلى الشُّرفَةِ لإلقاءِ نَظْرَةٍ ، وقالَتْ تولينُ : يا لَهذا العُلُوِّ الشَّاهِقِ ! من هُنا يمكِنُنا مُشاهَدَةُ المَدينَةِ كُلِّها . وتساءَلَ طبّوشٌ : أما أصابَكُما الدُّوارُ مِثلي ؟

– هُنالِكَ ، خَلفَ تِلكَ الهَضبَةِ يَقَعُ مَنزِلُنا ، نحنُ لا نستَطيعُ رؤيَتَهُ ، فهو شَديدُ البُعدِ . على كُلِّ حالٍ فالشِّقَّةُ قد حازَتْ إعجابي ، وأجمَلُ ما فيها شُرفَتُها ، وهذِهِ الإطلالَةُ المُدهِشَةُ . سوفَ تطيبُ لنا الإقامَةُ في هذا المَنزِلِ .

– أوَدُّ لو يَتَوَصَّلُ أبي إلى اتِّفاقٍ مع صاحِبِ الشِّقَّةِ ، حتَّى نستَقِرَّ قريباً في بَيتِنا الجَديدِ .



ما إن أعلَنَ والدُ تولينَ أنَّهُ تَسلَّمَ مَفاتيحَ الشِّقّةِ من مالِكِها ، حتَّى تَلألأَ وَجهُ تولينَ فَرَحاً ، وقالَتْ : حَبَّذا لو ننتَقِلُ فوراً إلى بَيتِنا الجَديدِ . رَدَّ أبوها : ليسَ فوراً يا بُنَيَّتي ، فالبيتُ يحتاجُ إلى تجديدِ طلائِهِ ، وإكساءِ جُدرانِهِ بالوَرَقِ . وها هو ذا إيادٌ قد حَضَرَ لمُساعَدَةِ صَديقَيهِ ، وأكَبَّ الجميعُ على العَمَلِ . وتساءَلَ طبّوشٌ : لماذا تَستَخدِمانِ هذهِ المِسْطَرَةَ ؟

– هذا ليسَ بمِسْطَرَةٍ ، بل مِتراً قابِلاً للطَّيِّ ، نستَخدِمُهُ لقياسِ الجُدرانِ ، حتَّى نتأكَّدَ من إمكانيَّةِ دُخولِ قِطَعِ الأثاثِ إلى الغرفَةِ .



استدْعى والِدُ تولينَ عامِلاً ، ليقومَ بوقفِ تَسَرُّبِ المياهِ في الحمَّامِ .
وفيما الرَّجُلُ يحاول عابِساً حَلَّ صُنبورِ المَغْطِسِ الَّذي استعصى عليهِ ،
تَدانى مِنْهُ طبّوشٌ ، وقالَ لهُ : مَرحباً ، لماذا تَستَخدِمُ هذهِ الأداةَ ؟
– لأفُكَّ بها الصُّنبُورَ .
– لَئِنْ فكَكْتَهُ ، لأغضَبْتَ سيِّدي .
– يا لَكَ مِنْ كَلْبٍ طُفَيليٍّ ، فَلْتَغْرُبْ عَنْ وجهي .

ولأنَّ العامِلَ قد تَرَكَ بابَ الشُّقَّةِ مَفتوحاً ، وَجَدَ طَبّوشٌ أنَّ الفُرصَةَ سانِحَةٌ ، وانسَلَّ إلى المِصعَدِ ، حيثُ صادَفَ طِفلاً برِفقَةِ جَدَّيهِ . قالَ الصَّبيُّ : يا لَهذا الكَلبِ النَّهِمِ ! لا رَيبَ أنَّهُ تائِهٌ . قالَ الجَدُّ : لَعَلَّهُ جائِعٌ . فلتَنتَبِهْ إلى قِشدَتِكَ المُثَلَّجَةِ يا روني ! .... أمَّا الجَدَّةُ فقالَتْ : سوفَ أُفَتِّشُ داخِلَ حَقيبَتِي ، لرُبَّما أعثُرُ فيها على قِطعَةٍ مِنَ السُّكَّرِ .



وما إن تَوَقَّفَ المِصعَدُ ، حتَّى تَرامَتْ إلى مَسمَعِ طَبّوشٍ أصواتُ الموسيقا . فتساءَلَ وهو يُصيخُ السَّمعَ : تُرى من أينَ تصدُرُ هذهِ الأنغامُ ؟ في الدَّورِ الخامِسِ ثَمَّةَ مُوسيقيٌّ يَعزِفُ على النّاي ، قالَ لطَبّوشٍ :

– فلتَدْخُلْ أيُّها الكَلبُ الظَّريفُ ، فأنتَ لا تُزْعِجُني .

وأمَّا الببَّغاءُ فقالَ لَهُ مُتهَكِّماً ، وقَدْ انتصَبَ فوقَ مَجْثَمِهِ : فَلْتَذْهَبْ إلى النَّومِ ! ...



قَصَدَتِ الأُسرَةُ ومَعَها إيادٌ مَتجرَ الأدَواتِ الكَهرَبائيَّةِ لابتِياعِ ثُرَيّا لغُرفَةِ الجُلوسِ ، فقالَ إيادٌ : انظُروا إلى هذهِ الثُّرَيّا ، هي جَميلَةٌ جِدّاً ، وكأنَّها كُرَةُ القَدَمِ بِعَينِها . أمَّا جادٌ فقالَ : أنا أُفَضِّلُ ذاتَ التيجانِ الَّتي تُشبِهُ الأزهارَ ، ألا تُناسِبُنا ؟ رَدَّ الأبُ قائِلاً : لكنَّ ثَمَنَها مُرتَفِعٌ جِـدّاً . وتَدَخَّلَ صاحِبُ المَتجَرِ ، وهو صَديقٌ للعائِلَـةِ ، فقالَ : سوفَ أُخَفِّضُ سِعرَها بِسَبَبِ صَدعٍ بسيطٍ ، يكادُ لا يُرى في أحد تيجانِها ..



وبحَذَرٍ شَديدٍ ، علّقَ والِدُ تولينَ الثُّريّا في غُرفَةِ الجُلوسِ ، وقالَ لتولينَ : ناوِليني التّاجَ مِنْ فضلِكِ يا بُنَيَّتي ... في غُضونِ ذلكَ قُرِعَ البابُ ، فقالَتْ تولينُ : نحنُ لا ننتظِرُ أحداً ، فمنْ تُراهُ يكونُ ؟ إنَّهُ درّاجٌ شابٌ بلباسِ الرِّياضةِ ، يحمِلُ طبّوشاً بينَ ذِراعَيهِ : أهذا كلبُكُم ؟ لقد ذَهَبْتُ إلى المِرآبِ لأضعَ درّاجتي ، فوَجَدْتُهُ هُناكَ . قالَتْ لَهُ تولينُ : لقد تَحَيَّنَ غفلَتَنا ، وخَرَجَ من الشِّقَّةِ . هو فُضوليٌّ ، وكما تعلَمُ يا سـيّدي ، فالمَكانُ جَديدٌ ، ولا بُدَّ لَهُ من استِكشافِهِ .

لَقَدْ أصبَحَتِ الشَّقَّةُ جاهِزَةً ، وبدأ الاستِعدادُ لانتِقالِ الأُسرَةِ إليها ، وهذا يَتَطَلَّبُ جُهداً وعَمَلاً . وتقولُ والِدَةُ تولينُ مُحتارَةً : تُرى ، مِنْ أينَ أبدأُ ؟ ألا تُساعِدونَني يا أولادُ !



- بِكُلِّ سُرورٍ يا أُمَّاهُ ! كيفَ يُمكِنُنا مُساعَدَتُكِ ؟

- أفْرِغوا صِوانَ المائدَةِ ، ثُمَّ غَلِّفوا آنِيَةَ الطَّعامِ بالصُّحُفِ والقَشِّ ، وضَعوها بعدئذٍ في الصَّناديقِ واحزِموها ، إنَّما فلتَتَوَخَّوا الحذَرَ لكيلا تَتَكَسَّرَ .

قال أبو الشَّوارِبِ لنَفسِهِ ، وقد تَحفَّزَ للانقِضاضِ عندما رأى قارورَةً على شَكلِ طائرٍ : ماذا يفعَلُ هذا الطَّائرُ هُنا ؟



وفجأةً سُمِعَ صَوتُ زُجاجٍ يَتَكَسَّرُ ،
لقدْ أسقَطَ أبو الشَّوارِبِ قارورَةَ العِطرِ الَّتي
تَحرِصُ عليها والِدَةُ تولينَ أشَدَّ الحِرصِ .
وفيما يجري لَمُّ الحُطامِ ، توارى أبو الشَّوارِبِ
عَنِ الأنظارِ ، واختبأ داخِلَ أحَدِ الأدراجِ خَوفاً مِنَ العِقابِ .

وتساءَلَتْ تولينُ بعد أنْ قامت
أمُّها بتفكيكِ السَّتائِرِ : أتعتَقِدينَ
يا أُمّاهُ أنَّها تَصلُحُ لِشُقَّتِنا الجَديدَةِ ؟
- لا يا بُنَيَّتي ، فهي قَصيرَةٌ جِدّاً ،
وسوفَ أعطيها لخالَتِكِ ، ثمَّ أضافَتْ :

- ألا تجمَعونَ هَذِهِ الصُّوَرَ !
- وأين سَنَضَعُها ؟
- سوفَ تُنَظِّمونَها لاحِقاً ، فالوَقتُ يَتدارَكُنا .



وعَمَّتْ حالَةٌ مِنَ الفَوضى والاضطِرابِ أرجاءَ المَنزِلِ ، حتَّى باتَ العُثورُ على شيءٍ مِنَ الأشياءِ شِبْهَ مُستحيلٍ .

ويصرُخُ إيادٌ مُسْتغيثاً : هَلُمِّي لِمُساعَدَتي يا تولينُ ، فاللَّوحَةُ ثَقيلةٌ جِدّاً .

– فلتَرفَعْها قليلاً يا إيادُ ، حتَّى أتَمَكَّنَ من تَحريرِ الخَيطِ .

ويقولُ جادٌ وقد ضاقَ ذَرعاً بالسَّجّادَةِ : أنَّى لنا أن نَنْقُلَ هذهِ السَّجّادَةَ ؟

– لئِنْ أوقفناها ، لسَهُلَ علينا تَحريكُها .. فَلْنُحاوِلْ ..

– انتَظِرا قليلاً ، رَيثَما يحضُرُ والِدُكُما لمُساعَدَتِكُما .



تَسارَعَتْ نَبَضاتُ قَلْبِ تولينَ ، لأنَّها سَتُغادِرُ اليومَ مَدرَسَتَها وأترابَها الَّذين تَرَعْرَعَتْ وَسَطَهُم . تَجَمْهَرَ أَصْدِقاؤها حَوْلَها لِوَداعِها :

– وداعاً يا تولينُ ، أينَ سَتَقطُنينَ ؟

– في وَسَطِ المدينَةِ ، وثَمَّةَ مَدرَسَةٌ تُجاوِرُ شِقَّتِنا .

– تعالَي لزِيارَتِنا .

– سوفَ آتي حَتماً لزِيارَتِكُم كُلَّما سَنَحَتْ لي فُرصَةٌ .

وتساءَلَتْ ماشا زَميلَةُ تولينَ الصَّغيرَةُ ، وقد اغرَورَقَتْ عَيناها بالدُّموعِ :

– أَلنْ أَراكِ بعدَ اليومِ ؟

– بلى ، وعَهداً لن أنساكِ أَبَداً .

لَمّا حَلَّ يومُ الانتِقالِ إلى الشُّقَّةِ الجَديدَةِ ، بَدا الإرهاقُ جَلِياً على والِدَي تولينَ . وفيما كانَ الأولادُ في حَرَكَةٍ دائبَةٍ ، انهَمَكَ عُمّالُ النَّقلِ بتَحميلِ (البيانو) فوقَ الشاحِنَةِ ، بكُلِّ ما تأتّى لهم مِنَ الحيطَةِ والحَذَرِ . ويقولُ أحَدُ العُمّالِ للأولادِ : لا تَقِفوا تحتَ الشّاحِنَةِ لكيلا تُعَرِّضوا أنفُسَكُم للخَطَرِ .

تقولُ تولينُ لأخيها : يستحيلُ نَقلُ أثاثِ البَيتِ كُلِّهِ دَفعَةً واحِدَةً .

– بلْ يمكنُ نَقلَهُ دَفعَةً واحِدَةً ، أتُراهِنينَ ؟



ما تَوَقَّعَهُ جادٌ حَصَلَ فِعلاً . لقد تَمَّ نَقْلُ الأثاثِ كُلِّهِ دَفعَةً واحِدَةً . وفَورَ وصُولِ الشَّاحِنَةِ أمامَ مَسكَنِ تولينَ الجَديدِ ، شَرَعَ العُمَّالُ بإفراغِ قِطَعِ الأثاثِ بواسِطَةِ الرَّافِعَةِ الَّتي يُمْكِنُها الارتِقاءُ إلى أعلى الطَّبَقاتِ في الأبنِيَةِ العالِيَةِ . تَجَمْهَرَ بعضُ الأولادِ حولَ الرَّافعةِ ، وسألَ أحدُهُم تولينَ : هلْ ستُقيمينَ في الدَّورِ الرَّابعِ ؟ وما اسْمُكِ ؟

– تولينُ ... وأنتَ ما اسْمُكَ ؟

– روني ... وأقطُنُ في الدَّورِ الخامِسِ . أخي الأكبرُ موسيقيٌّ . وقالَ صَبيٌّ آخَرُ : وأمَّا أنا فوالدي دَرَّاجٌ ، وكلبي اسْمُهُ مكسيكو . وقالَتْ تولينُ : كلبي يُدعى طبّوشاً .



" مياو ! .. مياو ! .. "

- كأنّني سَمِعْتُ مُواءَ قِطّةٍ .

- اصمُتْ ! ... لَعَلَّهُ صَدَرَ عن هذا الصُّوانِ . وتقولُ تولينُ : تَبّاً ، لقد أضَعْتُ مِفْتاحَ الدُّرجِ . وبواسِطَةِ مِفَكٍّ البَراغي ، تَمَكّنَ الأولادُ مِنْ كَشْفِ اللّوحِ الخَشَبيِّ الّذي يُغَطّي الصُّوانَ . قالَتْ تولينُ مَذهولَةً : أبو الشّوارِبِ ! ماذا تفعَلُ هُنا ؟ ثُمَّ أضافَتْ : لقدْ لَجأَ المِسْكينُ إلى الدُّرجِ حتّى ينجُوَ مِنَ العقابِ .

ذهَبتْ تولينُ إلى المدرسةِ الجديدةِ ، وبَعْدَ أنْ قابَلَتِ المديرةَ دَخَلَتْ تولينُ الصَّفَّ ، فشَعَرَتْ للوَهلَةِ الأولى بشيءٍ من الاضْطِرابِ ، لَعَلَّ كَثرَةَ الوجُوهِ قدْ أخجَلَتْها .

هي لا تعرِفُ أحداً ، وتحتارُ أينَ تجلِسُ ، لكنَّها استَلطَفَتْ أخيراً فَتاةً تَضَعُ نظّارَةً أمامَ عَينَيها ، فسأَلَتْ المُعَلِّمَةَ أن تأذَنَ لها بالجلوسِ إلى جانِبِها .



عَبَّرَتِ المُعَلِّمةُ عن موافَقَتِها بقولِها لتلاميذِها : أرجو أن تصمُتوا . أعَرِّفُكُمُ التِّلميذَةَ الجَديدَةَ تولينَ ، سوفَ تَجلِسُ بجوارِ ناتاشا .



وأضافَتِ المُعَلِّمَةُ : أمَّا الآنَ ، فحبَّذا لو نعودُ إلى العَمَلِ ، وهاكُمْ موضوعَ التَّعبيرِ لهذا النَّهارِ : (تحدَّثوا عنْ أُسْرَةٍ تُبدِّلُ مَسكنَها ...) وأودُّ أن أُنوِّهَ خاصَّةً بألاَّ تَنْقُلَ عَنْ بعضِنا ! تُرى أَمِنْ قَبيلِ المُصادَفَةِ أن تختارَ المُعَلِّمَةُ هذا المَوضوعَ ؟ وعلى الفورِ أكبَّتْ تولينُ على العَمَلِ ، فكَتَبَتْ في وَرَقَتِها : (لقدِ انتقَلنا البارِحَةَ إلى مَنــزِلٍ جديدٍ ، حيثُ سادَتْ حالَةٌ من الاضطِرابِ . كُنتُ سَعيدَةً في الحَيِّ الّذي أقمنا فيهِ عِدَّةَ سَنَواتٍ . هأنذا على عَتَبَةِ حَياةٍ جَديدَةٍ ، ولا بُدَّ لي أن أصادِقَ أطفــالاً آخرينَ ، وأن أُبَدِّلَ عاداتي . وبرَغمِ اختِلاف المَكائِنِ ، فأنا أشعُرُ بالارتياحِ في بيتِنا الجَديدِ) .

www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House Syria , Aleppo
P.O.Box : 7381 Tel : +963 21 2640151 Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN , Belgium .
ISBN 2-203-10142-3 ISSN 0750-0580





1 تولين في المَزرعةِ
2 تولين في رِحلةٍ
3 تولين في البَحرِ
4 تولين في السّيركِ
5 تولين ، مَرحباً بالمدرسةِ
6 تولين في السُّوقِ الشَّعبيّةِ
7 تولين على خَشَبةِ المَسرَحِ
8 تولين في الجَبَلِ
9 تولين في المُخيَّمِ
10 تولين على مَتنِ الباخرةِ
11 تولين وفُصولُ السّنةِ
12 تولين في المَنزلِ
13 تولين في حديقةِ الحيَواناتِ
14 تولين تتسَوّقُ
15 تولين في الطّائرةِ
16 تولين تركبُ الخيلَ

18 تولين أمٌّ صغيرةٌ
19 تولين في عيدِ ميلادِها
20 تولين تعتَني بالحَديقةِ
21 تولين تركبُ الدّراجةَ
22 تولين راقِصةُ الأوبّرا
23 تولين في عيدِ الأزهارِ
24 تولين تُعِدُّ الطّعامَ
25 تولين تتعلّمُ السّباحةَ
26 تولين مَريضةٌ
27 تولين تزورُ خالتِها
28 تولين تسافرُ في القِطارِ
29 تولين تتعلّمُ الملاحةَ
30 تولين وصديقُها الدُّوريُّ
31 تولين والحِمارُ كَدُّوش
32 تولين في عيدِ الأمّ
33 تولين في المِنطادِ
34 تولين في المَدرسةِ

35 تولين تكتَشِفُ المُوسيقا
36 تولين تُضِيعُ كلبَها
37 تولين في الغابةِ
38 تولين والهديّةُ
39 تولين والجارةُ العَجيبةُ
40 تولين والأربعاءُ المَشهودُ
41 تولين في ليلةِ العيدِ
42 تولين والبيتُ الجديدُ
43 تولين في حفلٍ تنكُّريٍّ
44 تولين والقِطُّ المتشرّدُ
45 تولين وراءَ السّمورِ
46 تولين والحادِثُ
47 تولين مُربّيةٌ
48 تولين في درسِ الاستِكشافِ
49 تولين في درسِ الرّسمِ
50 تولين في بلادِ الحِكاياتِ
51 تولين في درسِ الطّهوِ